

رقة أسرة

احتوتني عينا المها وهو يحادثني. أنصت إليه، تاهت مني بوصلتي في
بحريهما الرائقين.. أستطيع الآن أن أكتب ما هو الحب، أن أغزل، أن
أنحت في أعتى الصخور، وأن أرقص، وأن أعلم كل من في الأرض ما
هو الحب.

للمت مشاعري وأنا أحسني أتكوم خلف استطالات أهدابها
الخلوة. ضممته بشده إلي صدري. يتبسم في تخابث طفولي ماكر،
مغمض العينين يتصنع النوم.

تضحك ملامحه كعادته عند عودتي من عملي ، يجري نحوي ،
يغوص داخل صدري ، يغمض عينيه ويدعي النوم حتى أنه يرمي
بذراعيه اللينتين خلفي، فأرتمي على المقعد ونغيب في جسد واحد وكأني
لم ألد بعد، تروح أنامله تعبث في شعري المهوش، ألفه بذراعي،
أحتويه.

قال والدمع يجتهد في الثبات خلف لمعة عينيه :

- كل يوم سأسمع صوتك صبح؟

أومأت له برأسي وأغرقت وجهه بدموعي، فسألت دمعته
المختبئة خلف جأش طفل .

قال وقد تجمعت ملامحه وصوته يخنقه النشيج:

- أنا لا يكفيني الخميس ونصف الجمعة، أريد أن أبقى معك .

أدرت وجهي، وأخذت أهدهه بين ذراعي وأنا أقول :

- مؤقتاً يا عيوني.. ألم نتفق قبلاً؟

" كيف لا تزال باقية فيه رائحة الوليد؟ هل يشم المرء رائحته؟

تحركت عصافير قلبي، تفرمن أعشاشها داخل أقبيتي.. لم أكف عن

تقبيله.. كان يضمني إليه في رقة أسرة.. يتعد برأسه عني حتى يري

وجهي دون أن يسحب جسده عن صدري.. يتصفح ملامحي وصهد

أنفاسي وصهد أنفاسه.. يغبش نظاراتي فيبدأ العبث بقطرات الماء

ويضحك وأضحك وأنا علي جلستي أخشي الحركة حتى لا يزيد

النزف كما أوصتني صديقتي الطيبة..

ذكرني هو أن أتناول الدواء في مواعيده . ابتسمت وأخذت
أجري في حلم داخل غابات كثيفة عبر حدقتيه الجميلتين... ما كل هذا
السحر؟ لماذا لا توجد غابات لدينا؟

أحمله فوق كتفي وأجري به ..أجري ولا أدري إلى أين ، كما لا
أدري أين راح وزني ، أجري كنسمة وحين يفاجئنا المطر، يصرخ جزلاً
، زخات رقيقة لينة أخذت تشتد ، تفرق خصلات شعره الأسود
الفاحم .. تتسللني القطرات ممتزجة برائحته في تآلف تستقر بعد أن
أغرقت وجهي بين حنايا أنفي ومسارب صدري.

من نافذتي رأيته يسير متباطئاً . يقف تملأ عيناه صورتي وهو ينظر
لي ، رأسي مستنداً إلى إطار الشرفة يلوح لي، أحرك كفي ألوح له ،
يدخل السيارة، يجلس بجوار والده لا تكف كفه الصغيرة عن التلويح
لي حتى ابتعدت السيارة، وتاهت ناحية الخط الذي يفصل الأرض عن
السماء. كانت نافذتي هي التي تبتعد إلي الوراء ، تقترب من نقطة نهاية

العالم

من حولي ألمح الكثبان الرملية الصفراء وبقايا صخور جبلية شائهة وعرة، تطل بروزاتها عبر أطراف المدينة الجديدة. الذي يمهدون شوارعها حديثا ، في محاولات عشوائية.. سقطت عيني فوق الأكوام الرملية، فلمحتُ صورتي تتحرك وسطها في استدارات وحشية ناعمة.. تظهر لها سيقان صفراء ضخمة، تن من أعباء أثقالها، التي وجدتها تقترب في اتجاه النافذة..

وكانت رائحة صغيري لا تزال معي.